تعريف السيميولوجيا:

لغة : إن كلمة "سيميولوجيا" (Sémiologie) أو "سيميوطيقا" (Sémiotique) مشتقة من الأصل اليوناني (Sémion) كما يشير إلى ذلك سوسير في محاضراته.

ومن الناحية التركيبية، فهي مكونة من مفردتين أولاهما (Sémion) التي تعني (علامة)، وثانيتهما (Logos) التي تفيد معنى (العلم) أو (المعرفة).

اصطلاحا : تجمع عدة كتابات ومعاجم لغوية وسيميائية على أن السيميائيات هي ذلك العلم الذي يعنى بدراسة العلامات.

وعرفها جملة من الباحثين و المختصين في هذا الحقل المعرفي من بينهم فردينان دوسوسير Ferdinand de Saussure، وجورج مونان Georges Mounin، وكريستيان ميتز Christian Metz ، وجوليان غريماس Algirdas Julien Greimas، وجون دوبوا John Dubois ، ورولان بارث Roland Barthes، وآخرون .

يحدد مونان Mounin السيميولوجيا بأنها "العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس".

ويقول مؤسس السيميولوجيا فردينان دو سوسير Ferdinand de Saussure أن السيميولوجيا هي النظرية العامة للغة والأنظمة الغير اللغوية، وبالتالي فالسيميولوجيا هي ذلك العلم الذي يدرس نظام الدلائل داخل الحياة الاجتماعية سواء كانت هذه الدلائل لغوية أو غير لغوية، حيث انطلقت السيميولوجيا بدافع قوي لتأسس لعلم يتم من خلاله الاستناد إلى نظام العلامات لاكتشاف الأنماط الثقافية و الاجتماعية و بالتالي فالسيميولوجيا تهتم بدراسة دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية.

وعليه، فان أغلب ما تعرف به السيميولوجيا أنها تهتم بالتحليل البنيوي الذي يركز على العلاقات البنيوية الموجودة في المنظومة الدلالية، إذ أنها تسعى دائما للبحث في دلالة الإشارات في الحياة الاجتماعية وأنظمتها اللغوية بمعنى أن السيميولوجيا تعنى بدراسة الأنماط والأنساق العلاماتية اللسانية و غير اللسانية .

و في السياق نفسه، يمكن القول أن دي سوسير أطلق على هذا الحقل المعرفي اسم السيميولوجيا على انه علم موضوعه أنواع الدلالات و المعاني و يدرس حياة الرموز و الدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي و يوضح في كتاباته أن اللغة نظام من العلامات تعبر عن الأفكار، و العلامات اللغوية عنده هي كيان ثنائي المبنى مكون من الدال و المدلول كما يذكر أن العلامة اللغوية ذات طبيعة اعتباطية أي لا ترتبط بدافع و لكن ميز بين ثلاث علامات : العلامة الرمزية، السمعية و العلامة البصرية .

و في المقابل أطلق بيرس على هذا العلم بالسيميوطيقا و هي تعني نظرية عامة للعلامات في الفكر الإنساني فهي صفة لنظرية عامة للعلامات و الأنساق الدلالية في كافة أشكالها فهي بذلك تطابق علم المنطق لأنها نظرية جمعية تقوم خارج علم اللغة و هي كيان ثلاثي المبنى.

أما رولان بارث يعتقد بان السيميولوجيا ما هي إلا نسخة من المعرفة اللسانية و هو بذلك فسح المجال بدراسة الأساطير و اهتم بدراسة أنظمة العلامات التي سقطت في سيميولوجيا سوسير كالأطعمة ، الأزياء و الخطابات ...

و من أجل تقديم مفهوم أدق للسيميولوجيا يستلزم الامر علينا بضرورة تحديد اشكالية المصطلح و ذلك من أجل تحديد مفهوم دقيق لهذا الحقل المعرفي

- **إشكالية مصطلح السيميولوجيا :**

لا ريب في أن قضية المصطلح من القضايا الشائكة التي تطرح في ميدان السيميائيات، إذ ما زال هذا المصطلح يعاني الفوضى والاضطراب. ويعد المصطلح المـ ،يسملمفهوم السيميائيات واحدا من النماذج البارزة على هذا الاضطراب، إذ نجد كثيرا من الدارسين يستعملون مصطلحي "السيميوطيقا" و"السيميولوجيا" على سبيل الترادف ، كما أن أغلب الباحثين العرب يستخدمون مصطلحات "السيميوطيقا" و"السيميولوجيا" و"السيميائيات" على أنها أسماء دالة على معنى واحد.

و مع تنامي الوعي بأهمية المصطلح وتزايد الإحساس بضرورة ضبطه وتوحيده، وجدنا عددا من الباحثين ينتبهون إلى الفروق الموجودة بين المصطلحات التي كانوا يظنون أنها من قبيل

الترادف. وبناء على هذا، التفت بعض الدارسين إلى التمييز بين مصطلحي "السيميولوجيا" و"السيميوطيقا"؛ مثلما فعل جون دوبوا John Dubois.

كما قدم معجم (Hachette) الموسوعي تعاريف وتفاريق واضحة بين هذه المصطلحات، بحيث عرف "السيميولوجيا" بأنها "علم يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع"، وحدد "السيميوطيقا" بأنها "النظرية العامة للعلامات والأنظمة الدلالية اللسانية وغير اللسانية"، وحدد "السيميائيات" (Sémantique) بأنها "دراسة اللغة من زاوية الدلالة". ويعرف الأوكسفورد هذا المصطلح بأنه "دراسة معاني الكلمات". معنى هذا كله **أن السيميولوجيا علم، السيميوطيقا نظرية، السيميائيات دراسة أو منهج نقدي**

يستعمل الأوربيين مصطلح "السيميولوجيا" بتأثير من دي سوسير الذي وضع هذا المصطلح، واستعمله في محاضراته. بقوله : "يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما سيشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي و من ثمة فرعا من علم النفس العام . أما الامريكيون فقد استعملوا مصطلح السيميوطيقا sémiotique بتأثير من شارل سندرس بيرس بيرس Charles Sanders Peirce الذي وظفه في مختلف كتاباته حول العلامة، إلا أن المصطلحين معا عرفا انتشارا متبادلا، و يكفي أن ندرك أن المنتمين إلى الثقافة الفرنسية لم يقصوا تماما من دائرة اهتماماتهم و كتاباتهم مصطلح السيميوطيقا نظرا لانتشاره الواسع في الثقافات الأخرى وخاصة الأنجلسكسونية و الروسية .

كما أن مصطلح "السيميولوجيا" ظل راسخا في فرنسا وفي غيرها من البلدان اللاتينية، ويصر رولان بارث وأتباعه على استخدام مصطلح "السيميولوجيا"، وينحو نحوهم أندريه مارتيني André Martinet وتلاميذه من الوظيفيين في حين أن من أطلق عليهم كلود كوكي(J.C. Couquet) اسم "مدرسة باريس" يستعملون مصطلح "السيميوطيقا" لا غير.

وقد حدد غريماص الفارق بين المصطلحين في اللغة الفرنسية، بأن جعل "السيميوطيقا" تحيل إلى الفروع، أي إلى الجانب العملي والأبحاث المنجزة حول العلامات اللفظية وغير اللفظية، في حين استعمل "السيميولوجيا" للدلالة على الأصول، أي على الإطار النظري العام لعلم العلامات.

وفرق آخرون بين المصطلحين على أساس أن "السيميولوجيا" تدرس العلامات غير اللسانية كقانون السير، في حين تدرس "السيميوطيقا" الأنظمة اللسانية كالنص الأدبي... إلخ.

ولكن التفرقة بين "السيميولوجيا" و"السيميوطيقا" لم تعد قائمة، خصوصا بعد أن قررت "الجمعية العالمية للسيميائيات" –التي تأسست عام 1974م- تبني مصطلح "Sémiotique".

ومن الواضح جدا أن الدارسين العرب مختلفون في شأن ترجمة هذا المصطلح إلى العربية. فمنهم من يستعمل مصطلح "السيميائيات"، وهو المصطلح الرائج بين صفوف المغاربيين. ومنهم من يترجم ذلك المصطلح "بالسيميولوجيا". ومنهم من يترجمه ترجمة حرفية أي بلفظ "سيميوطيقا". ويستعمل بعضهم مصطلح "الرموزية"، ويقول الدكتور عادل فاخوري : "فالعلم نفسه أي الSémiotiques يترجم بـ: السيمياء، السيميائية، السيميوطيقا، السيميولوجيا والرموزية. والأفضل "السيمياء" لأنها كلمة قديمة متعارفة على وزن عربي خاص بالدلالة على العلم".

بعد ضبط إشكالية مصطلح السيميولوجيا إلى جانب التطرق إلى التعريف اللغوي و الإجرائي يمكن القول أن السيميولوجيا تعد تخصصا معرفي حديثا بالمقارنة مع غيره من التخصصات و لم تظهر ملامحها المنهجية إلا مع بداية القرن العشرين، و قد كانت نشأتها مزدوجة : نشأة أوروبية مع دي سوسير و نشأة أميركية مع شارل سندرس بيرس

و من خلال المراجع و البحوث المهتمة بالسيميولوجيا نجد أن معظم الباحثين يتفقون بأن هذه الأخيرة تخضع لضوابط وقواعد معينة كما هو الشأن بالنسبة إلى العلوم الأخرى، وهذا ما تنص عليه الكثير من التعاريف التي قدمها الدارسين لهذا المجال، ولكن ثمة تعريفات وآراء أخرى تنظر إلى السيميولوجيا باعتبارها منهجا من المناهج أو وسيلة من وسائل البحث بحيث يشير مونان في موضع آخر إلى أن السيميولوجيا "وسيلة عمل" (Instrument de travail) أي منهج من مناهج البحث.

ويبدو أن الدارسين العرب المعاصرين يتعاملون مع السيميائيات باعتبارها منهجا يساعد على فهم النصوص والأنساق العلاماتية وتأويلها. وهكذا، فإننا نقرأ بين الحين والآخر دراسات وأبحاثا يعمل أصحابها بالسيميائيات – بصفتها منهجا في المقاربة والدراسة-، ومن ذلك بعض دراسات محمد مفتاح وعبد الملك مرتاض التي تعمد إلى تجريب المنهج السيميائي في تشريح نصوص أدبية قديمة وحديثة... ومن الدارسين الذين يعتبرون السيميائيات منهجا نجد الدكتور

عبد الرحمن بوعلي الذي يقول في تقديمه لأحد كتب دولودال (G. Deledalle) التي ترجمها إلى العربية : "تحتل السيميوطيقا –أو السيميولوجيا- مكانة هامة ضمن المناهج النقدية. ولكن كان البعض يعتبرها مجرد موضة من الموضات، فإن هذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج علمي وإجرائي في الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى، بل ولم يزد المشتغلين بها إلا مقاومة لكل نزعة تبسيطية. ولذلك فهي في الاعتبار الصحيح منهج لا يمكن التقليل من أهميته أو التقليص مما يمكن أن يفتحه من سبل وآفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الأدبي والفني"... الخ.